

أمسية أدبية

" عندما يتفقه الأدباء، ويتأدب الفقهاء "

المقدمة:

الحمد لله الكريم المنان، الرحيم الرحمان، خلق الانسان، علمه البيان

والصلاة والسلام على النبي العدنان الذي قال: إن من البيان لسحرا، لما وَقَدَ إِلَيْهِ الزَّبْرَقَانُ بن بدر وعمرو بن الأهتم فقال  
الزبرقان يا رسول الله أنا يدُ تميم والمطاع فيهم والمجأبُ منهم أَخَذُ لَهُم بِحَقِّهِمْ وَأَمْنَعُهُمْ مِنَ الظلم وهذا يعلم ذلك - يعني عمروا.

فقال عمرو : أجل يا رسول الله إنه مانعٌ لِحَوْرَتَيْهِ (١) مطاعٌ في عَشِيرَتِهِ شديد العارضة فيهم(٢).

(١) حوزة الرجل : ما يحوزه ويملكه.

(٢) العارضة : البديهة في الكلام.

فقال الزبرقان : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ولكنه حسدني شرفي.

فقال عمرو :أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته الا ضيق العطن(٣) زَمِرَ المروءة (٤)أَحْمَقَ الابِ لَنَيْمِ الخال حديث الغنى.

(٣) العطن : المناخ حول الورد ، وَضَيِّقُ العطن : بخيل.

(٤) زمر المروءة : قليلها.

فرأى الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال :

يا رسول الله رضيبتُ فقلتُ أحسن ما علمتُ و غضبتُ فقلتُ أقبح ما علمتُ وما كذبتُ في الاولى وقد صدقتُ في الثانية!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا،

ولعل من يمن الطالع، وحسن الحظ أن نكون على مرمى ليال قليلة من رمضان الفضيل ورحم الله قيس بن الملوح القائل:

أَلَا زَعَمْتَ لَيْلَى بَأَن لَّا أَحْبَبَهَا  
بَلَى وَاللَّيَالِي الْعَشِيرِ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ  
بَلَى وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ  
بَقَدْرَتِهِ تَجْرِي السَّفَائِنُ فِي الْبَحْرِ  
بَلَى وَالَّذِي نَادَى مِنَ الطُّورِ عَبْدُهُ  
وَعَظَّمَ أَيَّامَ الذَّبِيحَةِ وَالنَّحْرِ  
لَقَدْ فَضَّلْتُ لَيْلَى عَلَى النَّاسِ مِثْلَ مَا  
عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فَضَّلْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

وقد جاء في الخبر الصحيح " للمصائم فرحتان " قيل فرحتنا الجسد والروح ،فكمال الفرحة باجتماع فرحتي الروح والجسد، وكمال الشخصية بإشباع حاجات الجسد والعقل والروح . وصلاح الجسد بالطعام والشراب والرياضة، وصلاح العقل بالعلم والفقہ، وصلاح الروح بالأدب.

يقول أبو بكر الوراق ، : " مَنْ اِكْتَفَى بِالْكَلامِ مِنَ الْعِلْمِ ، دُونَ الزُّهْدِ وَالْفَقْهِ ، تَزِنْدَقَ ، وَمَنْ اِكْتَفَى بِالزُّهْدِ ، دُونَ الْفَقْهِ وَالْكَلامِ ، اِبْتَدَعَ ، وَمَنْ اِكْتَفَى بِالْفَقْهِ ، دُونَ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ ، يَفْسُقُ ، وَمَنْ تَقَنَّنَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، تَخَلَّصَ " .

وقد قيل : "الوعي بلا تقوى جمود، والتقوى بلا وعي غفلة"

يقول عبد الله بن وهب إمام مصر في عصره، و أحد تلاميذ الإمام مالك: " صاحبت الإمام مالكا عشرين عاما، تعلّمت منه العلم في عام، و تعلّمت الأدب في تسعة عشر عاما، و ياليتها كانت كلّها في الأدب"

وقيل ليكن علمك ملحا وأدبك دقيقا،

ورحم الله القائل

أيها الفاخر جهلا بالنسب  
إنما الناس لأم ولأب  
هل تراهم خُلقوا من فضة  
أم حديد أم نحاس أم ذهب  
بل تراهم خُلقوا من طينة  
هل سوى لحمٍ و عظمٍ و عصب  
إنما الفخر لعقلٍ ثابت  
و حياءٍ و عفافٍ و أدب

إن يُكْدِ مُطْرَفُ الإخاءِ فَإِنَّا  
نَعْدُو وَنَسْرِي فِي إِخَاءِ تَالِدِ  
أَوْ يَخْتَلِفُ مَاءُ الوَصَالِ فَمَاؤُنَا  
عَدْبٌ تَحَدَّرَ مِنْ عَمَامٍ وَاحِدِ  
أَوْ يَفْتَرِقُ نَسَبٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا  
أَدَبٌ أَقَمْنَاهُ مَقَامَ الوَالِدِ  
و يقول أبو العلاء :

والمالكيُّ ابنُ نصرٍ زارَ في سَفَرٍ

بِلادِنَا فَحَمِدْنَا النَّأْيَ وَالسَّقْرَا  
إِذَا تَفَقَّهَ أَحْيَا مَالِكًا جَدَلَا  
وَيُنْشُرُ المَلِكِ الضِّلِيلَ إِنْ شَعَرَا  
الملك الضليل يعني امرأ القيس

ولما كان الأدب من شعر رائق، ونثر شائق، وقصص حسن، داعية لترقيق الطباع، وتهذيب الأذواق، وتقويم الأخلاق حرص عليه السلف العلماء والفقهاء.

يحكى ان عبدالله بن عباس كان يوماً جالساً في المسجد الحرام، وعنده نافع بن الأزرق، وناس من الخوارج يسألونه في امور الدين، اذ اقبل عمر بن ابي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين، فدخل وجلس ثم اقبل عليه ابن عباس وقال له انشدنا فأنشده قصيدته في آل نعم:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر

غداة غد أم رائح فمهجر

فأقبل ابن الأزرق على عبدالله بن عباس وقال له، لله أنت يا ابن عباس إنا نضرب إليك اكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتنناقل عنا، ويأتيك غلام مترف من مترفي قريش فينشدك:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت

فيضحى وأما بالعشي فيحسر

فقال ابن عباس: ليس هكذا قال وإنما قال:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت

فيضحى وأما بالعشي فيحصر

فقال ابن الأزرق:

ما أراك الا وقد حفظت البيت، قال: اجل وان شئت انشدتك القصيدة اياها، قال فاني اشاء. فأنشده القصيدة حتى اتى على آخرها .

أمن آل نُعمِ أنتَ غادٍ فمُبكرُ

عَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمَهْجَرُ  
لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تُقَلِّ فِي جَوَابِهَا  
فَتُبْلَغُ عُذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعْزَرُ  
تَهَيِّمُ إِلَى نُعْمٍ فَلَا الشَّمْلُ جَامِعُ  
وَلَا الْحَبْلُ مَوْصُولٌ وَلَا الْقَلْبُ مُقْصِرُ  
وَلَا قُرْبُ نُعْمٍ إِنْ دَنَّتْ لَكَ نَافِعُ  
وَلَا نَائِبُهَا يُسْلِي وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ

وكان الزهري يقول : هاتوا من أشعاركم ، هاتوا من طرفكم ، أفيضوا في بعض ما يخف عليكم ، وتأنس به طباعكم .

،وقد كان شعبة يحدث الناس ، فإذا تلمح أبا زيد النحوي في أخريات الناس ، قال :

يا أبا زيد !

استعجمت دار نعم ما تكلمنا

والدار لو كلمتنا ذات أخبار

ولما كانت أجواء العلم سيماءها الجد ، وكانت النفس تمل من الجد ، لم يكن بأس بإطلاقها في مزح ترتاح به لتعاود نشاطها ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " ولكن ساعة وساعة"

و كما قال الطغرائي في لاميته لامية العجم:

حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت

بشدة البأس منه رقة الغزل

ولما كانت مواضيع الفقه يتنازعها الرأي وخلافه، أو الصواب والخطأ

فيخشى على دارسه أن يعجب برأيه، فيسفه المخالف، ويزدرسه فكان لا بد من فضاء تجول فيه النفوس، ويسبح فيه الخيال،

فيدرك المرء أن من الظلم والجور اختزال الآراء في صواب وخطأ ، فقد يتعدد الصواب " ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات"

وقد قيل "إن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق"

فلا بد من معين ترد إليه النفوس يرقق طباعها،

ويهدب مزاجها، ويرقى بذوقها، فتتصالح مع نفسها، وتتسامى على الخلاف، وتتسامح مع المخالف،

وكلهم من رسول الله ملتصق

غرفا من البحر أو رشفا من الدير

يُحكى أن رجلاً كان مع معروف الكرخي، فمروا على جماعة يشربون الخمر ويغنون فقال الرجل : ياسيدي ، ادع على هؤلاء  
المجاهرين بالمنكر!

فقال الكرخي : اللهم كما فرحتهم في الدنيا،

فرّحهم في الآخرة

فعجب له فقال الكرخي "إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا"

ويحكى أن أبا حازم سلمة بن دينار –من فقهاء الحجاز من التابعين– خرج يرمي الجمار في الحج ومعه قوم ناسكون يحدثهم،  
فبينما هم كذلك إذ نظروا إلى امرأة من أجمل الناس، تتلفت يمنة ويسرة، وقد شغلت الناس وبهتوا ينظرون إليها. فقال لها أبو  
حازم: اتقي الله، فإنك في مشعر من مشاعر الله، وقد فتنت الناس، فأقبلت تضحك من كلامه، وقالت: يا هذا، إني ممن قال فيهم  
الشاعر العرجي:

من اللاء لم يحججن يبيغن حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا

فأقبل أبو حازم على أصحابه وقال: يا هؤلاء، تعالوا ندع الله ألا يعذب هذه الصورة الحسنة بالنار. وبلغ ذلك الشعبي من علماء  
العراق فعلق قائلًا: ما أرق نسيم أهل الحجاز

إن القلوب إذا رقت، والطباع إذا ترققت، فاضت رحمة ومحبة للخلق جميعهم "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" فكانت هذه  
الأمسية" عندما يتفقه الأديباء، ويتأدب الفقهاء" التي أرجو لها أن تكون مساهمة في بث روح الأدب في جسد الفقه، ونسيم الصبا  
في جسد الفقيه

على نحو مقال أحد فقهاءنا مفتتحا كتاب البيوع

ما بعثكم مهجتي إلا بوصلكم

ولا أسلمها إلا يدا بيد

فإن وفيتم بما قلتم وفيت أنا  
وإن أبيتكم يكون الرهن تحت يدي

ولله در لسان الدين بن الخطيب (٥٧٧٦هـ)

القائل

شرطت عليهم عند تسليم مهجتي  
وعند انعقاد البيع قربا يواصل  
فلما أردت الأخذ بالشرط أعرضوا  
وقالوا يصح البيع والشرط باطل  
ولقد تأتق القائل:

يا بدر أهلك جاروا = وعلموك التجري  
وقبحوا لك وصلي = وحسنوا لك هجري  
فليفعلوا ما أرادوا = فإنهم أهل بدر

وزاد سلطان العاشقين فقال:

ما بيّن مُعْتَرِكِ الأَحْدَاقِ والمُهْجِ  
أنا القَتِيلُ بلا إثمٍ ولا حَرَجِ  
ودَعْتُ قَبْلَ الهَوَى رُوحِي لما تَطَرَّتْ  
عِينَايَ مِنْ حُسْنِ ذَاكَ المنظَرِ البَهْجِ  
لِلَّهِ أَجْفَانُ عَيْنِي فِيكَ سَاهِرَةٌ

شوقاً إليك وقلبٌ بالغرام شج  
وخبذاً فيك أسقامٌ خفيت بها  
عني تقومُ بها عند الهوى حُججي  
فليصنع الركبُ ما شاوروا بأنفسهم  
هم أهل بدرٍ فلا يخشونَ من حرج

وفي السيرة "فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق" ي فقال إنه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا [ ص: ١٩٤٢ ] ما شئتم فقد غفرت لكم

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد  
جاءت محاسنه بألف شفيع

واستعار موفق الدين العيلاني المصري معنى رقيقاً عذبا من القرآن العظيم فقال:

قالوا عشقت وأنت أعمى  
ظبياً كحيل الطرف ألمي  
وحلاه ما عابنتها  
فنقول قد شغفتك هما  
وخياله بك في المنا  
م فما أطاق ولا ألما  
من أين أرسل للفرؤا  
د، وأنت لم تنظره، سهما

ومتى رأيت جماله  
حتى كساك هواه سقما  
والعين داعية الهوى  
وبه تنم إذا تنمى  
وبأي جارحة وصل  
ت لوصفه نثراً ونظما  
فأجبت إني موسى  
ي العشق إنصاتها وفهما  
أهوى بجارحة السما  
ع، ولا أرى ذات المسمى

" ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك "

وفي التفسير " وكلمه الله ونجاه حتى أسمعه ، وأدناه حتى سمع صرير القلم فاستحلى موسى عليه السلام كلام ربه واشتاق إلى رؤيته "

وقال بشار بن برد

يا قوم أذني لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ  
وَالأُذُنُ تَعشِقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أحيانا

من الخفريات البيض ود جليسا

إذا ما انقضت أحوثة لو تعيدها

وافتح بعض فقهاءنا كتاب الصلاة بأبيات كثير عزة:

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا

قلوصيكنما ثم ابكيا حيث حلت  
ومسأ تراباً كان قد مس جدها  
وبيتاً وظلاً حيث باتت وظلت  
ولا تياسا أن يمحو الله عنكما  
ذنوباً إذا صليتما حيث صلت

ولو لم تلامس رجلها صفحة الثرى  
لما كنت أدري علة للتيمم

يقول الشاعر: محمدا لامين ولد الشيخ المعلوم  
حين رأى حال ولده حين زمت ركاب من يهواه

أما حان للدمع المصون انسكابه  
وللبين من تهواه زمت ركابه  
زكاة دموع العين فرض على الفتى  
وان باننت الاحباب تم نصابه  
ومن فارق الاحباب ثم دنا له من  
الشوق ما اضناه حل مصابه

وقال هبة الله القاضي السعيد

سعدت ببدر برجه برج عقرب

فكذب عندي قول كل منجم

بنفسي من قبلته ورشفته

فقال الهوى فز بالحطيم وزمزم

فجردت قلبي من مخيط همومه

وطاف به والقلب في زي محرم

ولابن الفارض

لقد نبتت في القلب منكم مودة

كمانبتت في راحتين الأصابع

حرام على قلبي مودة غيركم

كما حرمت يوما لموسى المراضع

"وحرمتنا عليه المراضع من قبل "

مرض الحبيب فعدته

فمرضت من خوفي عليه

فأتى الحبيب يزورني

فَبَرُّنْتُ مِنْ نَظْرِي إِلَيْهِ

التورية باستعارة مصطلحات علم الحديث  
وقال البهاء زهير

أهوى التذللَ في الغرام وإنما  
يأبى صلاحُ الدين أن أتذللاً  
مَهْدْتُ بِالْعَزَلِ الرَّقِيقِ لِمَدَجِهِ  
وَأَرَدْتُ قَبْلَ الْفَرَضِ أَنْ أَتَقَفَّلاً

يروى حديثُ الجودِ عنه مسنداً  
فعلامَ ترويه السحائبُ مرسلاً

يا من مديحي فيه صدقُ كلُّهُ  
فكأنما أتلو كتاباً منزلاً  
يا مَنْ وَلائِي فِيهِ نَصٌّ بَيِّنٌ  
وَالنَّصُّ عِنْدَ الْقَوْمِ لَنْ يَتَأَوَّلَا

ويقول سلطان العاشقين

عَيرِي عَلَى السَّلْوانِ قَادِرٌ  
وسوايَ فِي العِشاقِ غادِرٌ

لي في الغرامِ سريرةٌ" والله أعلمُ بالسرائِرِ  
ومشبهٌ بالغصنِ قلـ بي لا يزالُ عليه طائرٌ

حلو الحديث وإنها لحلاوة شقت مرائر  
أشكو وأشكر فعله فاعجب لشاك منه شاكر  
لا تنكروا خفقان قلبي والحبيب لدي حاضر  
ما القلب إلا داره ضربت له فيها البشائر  
يا تاركي في حبه مثلاً من الأمثال سائر  
أبدأ حديثي ليس بالـ منسوخ إلا في الدفاتر  
يا ليل ما لك آخر يرجي ولا للشوق آخر  
يا ليل طل يا شوق دم إني على الحالين صابر  
لي فيك أجر مجاهد إن صح أن الليل كافر  
طرفي وطرف النجم فيك كلاهما ساه وساهر  
يهنيك بدرك حاضر يا ليلت بدري كان حاضر  
حتى يبين لناظري من منهما زاه وزاهر  
بدري أرق محاسناً والفرق مثل الصبح ظاهر

وللبهاء زهير

لكم الروح والبدن

لكم السر والعلن

أنا كلي لكم ترى

سادتي انتم لمن

أنا عبد شريتموه

ولكن بلا ثمن

لم يزل بي من القماط

هواكم الى الكفن  
ليس لي بعد بعدكم  
لا سكون ولا سكن  
فارحموا اليوم عاشقا  
في يد البين مرتين  
لا فروضا أضعها  
في هواكم ولا سنن  
لي حبيب عبدته  
ويح من يعبد الوثن  
وجهه يجمع المسرة  
للقلب والحزن  
هو للحسن مشرق.  
فيه قد تظهر الفتن  
يا حبيبي لقد حويت  
من الحسن كل فن  
أنت عيني وأنت أحلى  
لعيني من الوسن  
كم أيادي أعدّها  
لك عندي وكم ممن  
وقبيح وحقك الصبر  
عن وجهك الحسن

وقال سالم بن عبد الله بن عمر : ، سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الفتنة تجيء من ههنا وأوماً بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان « (مسلم ٢٩٠٥).

وفي ميدان تربية النفس وتزكيتها يقول البوصيري

إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذْلِي  
وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التَّهَمِ  
فَإِنَّ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظْتُ  
مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ  
وَلَا أَعَدْتُ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَأَى  
ضَيْفٍ أَلَمْ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَسِمِ  
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أُوقِرُهُ  
كَتَمْتُ سِرًّا بَدَأَ لِي مِنْهُ بِالْكَتَمِ

ويقول محمود الوراق

إلهي لقد أحسنت عودا وبدأة  
علي فلم ينهض لإحسانك الشكر  
إذا كان شكري نعمة الله نعمة  
علي له في مثلها يجب الشكر  
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلته  
وإن طالت الأيام واتصل العمر  
إذا مس بالسراء عم سرورها  
وإن مس بالضراء أعقبها الأجر

فما منهما إلا له فيه نعمة  
تضيق بها الأفهام والبر والبحر

وتساءل المعري في ميدان الحدود فقال:

يدٌ بخمس مئتين عسجد وديت  
مابالها قطعت في ربع دينار  
تناقض ماله إلا السكوت له  
نعوذ بالله مولانا من النار  
فرد عليه عبدالوهاب المالكي  
عزُّ الأمانة أعلاها وأرخصها  
ذلُّ الخيانة فافهم حكمة الباري

وسئل أحد فقهاء الشافعية ( أبو الفتح البستي هل يؤخذ الحر بالعبد فأجاب شعرا:

خُذُوا بَدْمِي هَذَا الْغِزَالَ فَإِنَّهُ  
رَمَانِي بِسَهْمِي مُقَاتِلِيهِ عَلَى عَمْدٍ  
وَلَا تَقْتُلُوهُ إِنِّي أَنَا عَبْدُهُ  
وفي مذهبي لا يقتل الحر بالعبد  
فأجابه بعض الحنفية رادا عليه بقوله :  
خذوا بدمي من رام قتلي بلحظه  
ولم يخش بطش الله في قاتل العمد  
وقودوا به جبرا وإن كنت عبده

ليعلم أن الحر يقتل بالعبد

جرحت بلحظي خد الحبيب

فما طالب المقلة الفاعلة

ولكنه اقتص من مهجتي

كذاك الديات على العاقلة

اشارة لطيفة إلى قوله تعالى " فتكون لهم قلوب يعقلون بها"

و قول ابن العفيف:

قضاة الحسن ما صنعي بطرف

تمنى مثله الرشا الربيب؟

رمى فأصاب قلبي باجتهاد

صدقتم: كل مجتهد مصيب!

ابن الجوزي يصف رمضان بيوسف

ذكر ابن الجوزي رحمه الله في كتابه "بستان الواعظين ورياض السامعين

"في المجلس ١٣ مجلس في فضل الصيام قال:

قيل : الشهور الاثنا عشر كمثل أولاد يعقوب عليه السلام ، وشهر رمضان

بين الشهور كيوسف بين إخوته ، فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب ،

كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب....

- جاء إخوة يوسف معتمدين عليه في سد الخلل ، وإزاحة العِلل ، بعد أن كانوا

أصحاب خطايا و زَلَل.... فأحسن لهم الإنزال ، وأصلح لهم الأحوال ، وأطعمهم

في الجوع ، وأذن لهم في الرجوع .....فسدّ الواحد خَلل أحد عشر !

كذلك شهر رمضان : نحن نرجو أن نتلافى فيه ما فرطنا في سائر الشهور ،

ونصلح فيه فاسد الأمور ، فيُختم لنا بالفرح والسرور.

حمد عيسى الكندري